



الدرس
الخامس عشر

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

عناصر الدرس:

- ١ - الاقتصاد في المأكل والمشرب مقصد شرعي.
- ٢ - التحذير من الإسراف والتبذير.
- ٣ - من دوافع الإسراف وأسبابه.
- ٤ - عواقب الإسراف على الفرد والمجتمع.



الدّرس الخامس عشر

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

الاقتصاد في المأكل والمشرب مقصد شرعي:

لقد تميز الإسلام بمراعاة التوازن بين حاجات الروح وحاجات البدن بحيث لم يُغفل جانباً ويُراعى الآخر، وإنما راعى الجانبين، وكذا الحال بين أمور الدين وأمور الدنيا؛ قال الله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [المك: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وقال جل شأنه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَابْسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ» [رواه النسائي].

وقد جاءت شريعة الإسلام بالحث على القصد والاعتدال في سائر الأمور عامة، وفي النفقات وأمور المعيشة خاصة، فقد جاء في القرآن في وصف عباد الرحمن الذين نسبهم الله إليه تشریفاً لهم، وتنوياً بفضلهم وحثاً لنا على التحلي بسلوكهم وأخلاقهم، فقال جل جلاله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. فهم وسط عدول حتى في نفقاتهم، وسط بين طرفين مذمومين، المسرفين والمقترين، عاملين بقول الله تعالى:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾

[الإسراء: ٢٩].

التحذير من الإسراف والتبذير:

لقد تظاهرت الأدلة على تحريم الإسراف، والأمر بالاعتدال والاقتصاد خاصة فيما يتعلق بالمأكل والمشرب، ولعل سائلاً يسأل: ما الإسراف الذي نهى الله عنه عباده؟ والجواب: أن الإسراف في اللغة: هو مجاوزة القصد (الاعتدال)، أما في الاصطلاح: فهو صرف الشيء فيما ينبغي؛ زائداً على ما ينبغي، أي ينفق فيما لا فائدة فيه ولا طائل من ورائه، بل ربما فيما فيه ضرر عليه كما هو الحال من المترفين، فالمسرف إذن تجاوزَ القصد، فهو مبذر، وقد نهى الله عن التبذير فقال تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا﴾ (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿[الإسراء: ٢٧].

من دوافع الإسراف وأسبابه:

مما يؤسف له حقاً تفشي الإسراف عند بعض المسلمين، وربما كان الدافع إلى ذلك: عدم الوعي الكافي، والتقليد الأعمى للآخرين، وعدم الخوف من رب العالمين؛ الذي سيسألهم عن أموالهم من أين اكتسبوها وفيم أنفقوها.

ومن دوافع الإسراف أيضاً: الغرور الذي يصيب المسرفين، وعدم شكرهم لنعم الله تعالى، وإنما يقابلونها بالجحود، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿[إبراهيم]. فانظر - أخي المؤمن - إلى عاقبة أمرهم، ليكون ذلك رادعاً حتى لا تسلك سلوكهم.



ومما ينبغي أن نذكر به أن من شكر نعم الله جل جلاله: الاقتصاد في النفقات، والاعتدال، طاعة للرحمن واستعداداً للقاء الله، وسؤاله العبد عن ماله، ففي الحديث عن أبي بَرزَةَ الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ» [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

عواقب الإسراف على الفرد والمجتمع:

إن الإسراف وتجاوز الحد يعد مخالفة لأمر الله ونهيه، وصاحبه متوعد بالعذاب إضافة إلى ما يصيبه من الحسرات، خاصة إذا أنفق المال وأصابه الفلَس وذهب يلوم نفسه على ما أصابه من البوار والخسران، إضافة إلى ما قد يصيبه من تلف الصحة والاعتلال كما يحدث للمفرطين في الشهوات من أمراض، مما يؤثر سلباً في حياتهم وفي إنتاجهم واقتصاد مجتمعهم، ويصبحون عالة على ذويهم وعبئاً على الدولة، فأتى لأمثال هؤلاء أن يكونوا منتجين أو للحضارة صانعين؟

والمأمل لأحوال بعض الناس يجد صوراً متعددة من الإسراف والتبذير في المطاعم والمشارب خاصة في شهر رمضان الذي هو شهر الصيام؛ والذي من مقاصده: صيانة الجسم، وزيادة الإيمان، وتحقيق التقوى للصائمين، فانظر إلى الموائد الرمضانية؛ كم فيها من ترف وسرف مما قد يفوت المقصود من الصيام، فهل يعقل هذا البذخ في شهر الصبر والصوم؟! لا شك أن ذلك له أثره السلبي على عبادة الإنسان من صيام وقيام وتلاوة قرآن وذكر للمولى عز وجل.

لذا فإننا نوصي أنفسنا وإخواننا المسلمين أن يلزموا القصد والاعتدال خاصة في شهر رمضان، وأن يلزموا من العمل ما يشغلهم عن إضاعة الأوقات والنفقات فيما ضرره أظهر من نفعه، وأن يلزموا إعمار الأوقات بالعمل الصالح في رمضان أسوة بالنبي ﷺ.